تشكيل الصورة الشعرية في (الملحمة المحمدية) لكامل أمين و(أمير الأنبياء) لعامر بحيري

حنان سيد فرجاني

الملخص:

اختلف حول مفهوم الصورة؛ إذ الصورة عند القدماء تعتمد على العلاقة بين الشعر، والتصوير، والتخيل، إضافة إلى الصور البلاغية المختلفة من تشبيه، واستعارة، وكناية...إلخ، في حين جاء مفهوم الصورة الحديث مركزًا على تأثير الخصائص اللغوية على البناء الفني للصورة، وربط الصورة بالمعتقدات الدينية من خلال البحث عن الأصول الدينية والأسطورية التي تستمد منها الصور الفنية في الشعر العربي جذورها.

وبذلك يتبنى المفهوم الجديد للصورة، الصورة الرمزية، أو الأنماط المتكررة من الصور.

وعليه، فتحديد مفهوم الصورة الفنية بهذا الشكل يعتمد على أشياء خارج العمل الفني إلا أنه يعود بنفع من حيث جعل الصورة أكثر عمقًا وأشمل وعيًا للكشف عما في النص من دلالات.

استطاعت الباحثة من خلال المفهوم الحديث للصورة من الوصول إلى الجمال الكامن وراء الصور الجزئية، إذ اقتصر القدماء على تحديد الجمال من خلال مفهوم الصورة عندهم وهو أن تضم ما يدل على المجاز بأنواعه المختلفة، فقد وجدت الباحثة في الملحمتين نماذج من الصور الجزئية المتراكمة المكونة لبناء فني متكامل، من خلال الصور الحركية، والحالة النفسية.

ومن هنا كان الاهتمام بالتصور العام لمفهوم الصورة الحديث القائم على التشكيل الفني في ذاته لا المعنى فحسب، ولا في المجاز فحسب، بل في التشكيل اللغوي والفني باعتباره بناء ووحدة متماسكة.

وأخيرًا الصورة الفنية لا تعتمد على الصور البلاغية وحدها بل تعتمد الصورة الفنية على الصلة بين الشعر والأصداء المختلفة للتراث الديني بكافة أشكاله كما هو ظاهر جلي في الملحمتين.

Abstract:

I disagreed about the concept of image; The image among the ancients depends on the relationship between poetry, photography, and imagination, in addition to various rhetorical images such as simile, metaphor, and metonymy…etc., while the modern concept of the image focused on the effect of linguistic characteristics on the

artistic construction of the image, and linking the image to religious beliefs. By searching for the religious and mythological origins from which artistic images in Arabic poetry derive their roots.

Thus he adopts the new concept of the image, the symbolic image, or recurring patterns of images.

Accordingly, defining the concept of the artistic image in this way depends on things outside the artwork, but it is beneficial in terms of making the image deeper and more comprehensive and aware in order to reveal the connotations in the text.

Through the modern concept of the image, the researcher was able to reach the beauty that lies behind partial images, as the ancients limited themselves to defining beauty through their concept of the image, which is to include what indicates metaphor of its various types. The researcher found in the two epics examples of accumulated partial images that constitute an artistic structure. Integrated, through motor images and psychological state.

Hence the interest in the general perception of the modern concept of image, which is based on the artistic formation in itself, not only the meaning, nor only the metaphor, but in the linguistic and artistic formation as a structure and a cohesive unit.

Finally, the artistic image does not depend on rhetorical images alone, but rather the artistic image depends on the connection between poetry and the various echoes of religious heritage in all its forms, as is clearly evident in the two epics.

مقدمة:

سوف أتناول في هذا الفصل تنوعات الصورة الشعرية بين الصورة القديمة التي تقتصر على التشبيه، والاستعارة، والكناية؛ أي الأنواع المعروفة والمشهورة في البلاغة العربية، وبين الصورة الحديثة التي تعتني بالرمز، والقناع، والتناص، وكشفها عن المستوى الثقافي لعوالم الذات والآخر والوجود. وبناء عليه جاء هذا الفصل في مبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول: الصورة البيانية القديمة في الملحمتين:

تقل في الملحمتين الصور الخيالية البلاغية البيانية فل كل من الملحمتين: أمير الأنبياء والملحمة المحمدية..

فيرد التشبيه قليلا، ومن أمثلته قول الشاعر عامر محمد البحيري في ملحمة: أمير الأنبياء:

مثصـــــلة حوادثهـــــا فصـــــولا كنسق الدر في عقد نضيد (١)

حيث شبه تنسيق ملحمته أمير الأنبياء بتنسيق حبات اللؤلؤ في العقد عل طريقة التشبيه المرسل لبيان جودتها وجمالها..

وقوله:

وتســـقي زمـــزم الحجـــاج فيـــه كـــأن زلالهـــا لـــبن شـــهي(٢)

حيث شبه ماء زمزم في حلاوته بالبن الشهي لبيان قيمته العالية..

وقوله:

مضـــت بمحمـــد فمضـــت بفـــيض كفـــيض الغاديـــات الهـــاطلات (٣)

حيث شبه الخير الكثير إلى صاحب قدوم الرسول لي ديار حليمة الأكار الزيرة الهاطلة لبيان بركته صلى الله عليه وسلم..

بـــدا ملكـــان قـــد طلعـــا بنـــور كمـــا طلـــع البيـــاض مـــن ســـواد

جبـــين كليهمـــا نـــور ســـني ولحيتـــه كبارقـــة الغـــوادي (٤)

حيث صور الملكان اللذان أضجعا النبي وأخرجا منه حظ الشيطان بالنور الذي يطلع من بين السواد، كما صور جبين أحدهما بالنور ولحيته بالبرق الخاطف لبيان جمالهما وغرابتهما..

وقوله:

كـــان لأهلـــه حصـــنا منيعـــا كثيـر الـيمن غـي حـرب الفجـار(٥)

حيث صور الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحصن القوي وهو حارب في حرب الفجار لبيان شجاعته صلى الله عليه وسلم..

فيرد التشبيه قليلا أيضا، كما في قوله:

ومـــا فـــوق البطولـــة مـــن نبـــي أتـــى بـــالنور والخيـــر المزيـــد (٦)

حيث صور الشاعر ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم من رسالة الإسلام بالنور والخير وحذف المشبه وأبقى المشبه به وهي استعارة تصريحية.

تـــــداركهم برحمتـــــه تعـــــالى بأحمـــد ينشـــر النـــور المبـــين (٧)

حيث صور الشاعر ما أتى به الرسول صلى الله علية وسلم من رسالة الإسلام بالنور وحذف المشبه وأبقى المشبه به وهي استعارة تصريحية....

وقوله:

وكانـــت قبلـــه كتـــب الأوالـــي تحـــدث عنـــه صـــادقة الـــولاء (٨)

حيث صور الشاعر الكتب السماوية كالإنجيل والتوراة وهي تذكر النبي صلى الله عليه وسلم بإنسان يتحدث وحذف الإنسان وأبقى بعض صفاته وهي استعارة مكنية..

وقوله:

يكـــاد يضـــلني فرحـــي بنظمـــي ويفتننـــي عـــن اليـــوم المـــروع(٩)

حيث صور الفرح بإنسان مضل وحذف الإنسان وأبقى بعض صفاته وهو يضلني وهي استعارة مكنية..

وقوله:

يحـــيط بـــه ويمســـك جانبيـــه مقـــام الطهـــر والحجـــر البهـــي(١٠)

حيث صور الشاعر مقام الطهر بإنسان مضل وحذف الإنسان وأبقى بعض صفاته وهو يحيط ويمسك وهي استعارة مكنية..

وترد الكناية قليلة جدًا جدًا...

في قوله:

أفـــاخر بـــين أربـــاب البـــديع بهـذا الشـعر والفـن الرفيـع [١١]

حيث كني بقوله: (أرباب البديع) عن البلغاء والفصحاء من الشعراء..

وقوله:

بعـــين الله قـــد شـــب الفطـــيم وفـي كنـف الهـدى نشـأ اليتـيم [١٢]

حيث كني بقوله: (عين الله –كنف الهدى) عن رعاية الله للنبي صلى الله عليه وسلم....

*****

والملحمة المحمية: يرد التشبيه فيها قليلا أيضا، ومن أمثلته قول الشاعر كامل أمين:

مهيـب كـأن الأسـد تحكيـه هيبـة وسمح كأن الفجر يحكيه إن بدا [١٣]

حيث صور الرسول صلى الله عليه بالأسد في شجاعته وكالفجر في سماحته.

وقوله:

فسـار كـإبراهيم للبيـت بابنـه وهـم بـه مـن بعـد مـا شـحذ المـدى[١٤]

حيث صور ما فعله عبد المطلب بابنه عبد الله وهو يهم بذبحه فداء بنذره بما فعله إبراهيم عليه السلام عندما هم بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام على طريقة التشبيه التمثيلي.

وقوله:

شفافية بالذكر أزكى من الشذى مرت ولطف كأنفاس الصباح على الندى[١٥]

حيث شبه صفاء وشفافية السيرة المحمدية بالرائحة الجميلة الطيبة، وشبه لطفها وجمالها بجمال أنفاس الصباح المندى. والاثنان من التشبيه البليغ.

وقوله:

ولاقـى رجـالا كالجبـال مشـافرا من النار كالأفهار قد ملؤا اليدا[١٦]

حيث صور رجالا في النار كالجبال ولهم مشافر كمشافر الحيوانات كأنهم أفهار في أيديهم. والأفهار جمع فهر وهو الحجر قَدْرَ ما يُدَقُّ به الجَوْزُ ونحوه، أُنْثى؛ قال الليث: عامة العرب تؤنث الفِهْرَ، وتصغيرها فُهَيْر وقال الفراء الفِهْرُ يذكر ويؤنث، وقيل: هو حجر يملأ الكف..

وقوله:

لقد كان يوم الفتح عند هوازن كوقع القنا أصمت قلوبا وأكبدا(١٧)

حيث صور أثر هزيمة هوازن يوم حنين بوقع الحراب على القلوب والأكباد، وهو تشبيه بليغ..

وترد الاستعارات قليلة جد ومنها قوله:

فلم أر بحرا سار في الناس قبله ولا قمرا صلى بهم أو بعبدا(١٨)

حيث شبه الرسول صلى الله عله وسلم بالبحر وبالقمر وحذف المشبه وأبقى المشبه به وهي استعارة تصريحية...

وقوله:

تناولت من حسان رايته وحاربت عنه بالقوافي مجددا(١٩)

حيث شبه القوافي وهي تدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم بإنسان محارب وحذف المشبه وأبقى بعض صفاته وهو حارب وهي على طريقة الاستعارة المكنية.

والكناية قليلة جدا جدا ومنها قوله:

وأطلق فيها للجواد عنانه ليلحق من قبل الجميع بأحمدا(٢٠)

حيث ذكر قوله أطلق عنانه كنايه عن إعطاء الحرية.

وقوله:

قال لهم: الآن قد حمي الوطيس فامضوا وكان الله عونا ومنجدا(٢١)

حيث ذكر حمي الوطيس وهي كناية عن شدة الحرب.

وهذ كله يدل على قلة عناصر البيان: التشبيه والاستعارة والكناية في الملحمتين..

المبحث الثاني: الصورة البيانية الحديثة في الملحمتين

"ويهمنا في الحديث عن الاستعارة أمران أولهما: أنها تصويرية بطبيعتها، لذلك فهي تخلق ما يسمى باللغة التجسيمية language figurative وليست مغالطة زخرفية fallacy decorative كما كانت عند البلاغيين التقليديين، وهذا تقدم مهم في النظر إلى وظيفة المجاز في التجربة الفنية. وثانيهما: علاقة الاستعارة –بوصفها صورة– بالأسطورة."[٢٢]

الاستعارة تصويرية لا مغالطة، وعلاقتها بالأسطورة، وأن الاستعارة (أسطورة مصغرة) و(الأسطورة الدينية هي مصدر المجاز الشعري).[٢٣]

وعليه فإن المفهوم الجديد يوسع مجال الصورة؛ فليس المجاز وحده هو الصورة: فلم يقتصر على التشبيه والاستعارة كما عند القدماء، "فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح، بل قد تخلو الصورة –بالمعنى الحديث– من المجاز أصلًا، فتكون عبارات حقيقية الاستعمال ومع ذلك تشكل صورة دالة على خيال خصب، ... وهكذا يحمل الشاعر صورته تيارات متبادلة من السلب والإيجاب تثريها غاية الثراء، وإن خلت من وسائل التصوير المجازية"[٢٤]

حاول علي البطل بناء تصور حديث لمفهوم الصورة الفنية من خلال تتبعه للمنابع التي شاركت في تكوين "الصورة الفنية" الجديدة، نحو: علم النفس، والاستطيقا، والدراسات الأدبية والنقدية، والظلال الفلسفية التي تلقيها فلسفات المدارس الأدبية على هذا المصطلح. إضافة إلى تأثرها –الصورة الفنية– بالدراسات السيكلوجية التي فتح "فرويد" آفاقها بمباحثه عن العقل الباطن، ذلك المنبع الذي جعله السرياليون مصدر فيض صورهم الشعرية. ويعتبر تحديده "الصور الشعرية رمز مصدره اللاشعور" انعطافًا مهمًا في فهمها.[٢٥]

نماذج من الملحمتين تؤكد على خلوهما من المجاز، من خلال اعتماد الشاعرين في صورهما على الصور الجزئية لتكوين الصور الكلية المؤثرة:

فالصورة هي: "عمل تركيبي يقوم الخيال ببنائها مما خلفه الإدراك من خبرات، ويستلزم خلقها في الخيال أن يكون موضوعها الخارجي معدومًا أو في حكم المعدوم، فالخيال يلغي وجود ما حصله الإدراك، ويعيد خلق صورته الجديدة بديلًا من وجوده المادي، ولهذا تنحصر القيمة الجمالية في الصورة الفنية لا في الوجود المادي؛ لأن الواقع لا جمال فيه."[٢٦]

وبأنها: "تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها...ويدخل في تكوين الصورة بهذا المفهوم ما يعرف بالصور البلاغية من تشبيه ومجاز إلى جانب التقابل، والظلال والألوان، وهذا التشكيل يستغرق اللحظة الشعرية والمشهد الخارجي"[٢٧]

تعريفات للصورة الحديثة والاعتماد على الأسس النفسية التي اتجهت اتجاهين وهما:

الاتجاه الأول/ التعريف الأول: يهتم بالصور الذهنية من حيث هي نتيجة لعمل الذهن الإنساني في تأثره بالعمل الفني وفهمه له. ويصنف هذا الاتجاه الصورة إلى: بصرية، وسمعية، وشمية، وذوقية، ولمسية، إضافة إلى الصور الحركية والعضوية.

الاتجاه الثاني/ التعريف الثاني: يهتم بالصورة باعتبارها رؤية رمزية، من خلال الاهتمام بالأنماط المتكررة، التي سميت بعناقيد الصور. وقد اهتم أصحاب هذا الاتجاه بدراسة ما وراء هذه الصور الرمزية من أصول نبعت منها، وملاحظة كيفية ارتباطها بالنماذج العليا في الشعائر والأساطير؛ وذلك لأن الصورة إذا تكررت لمرات عديدة حتى تصبح نمطًا لدى شاعر بعينه أو شعراء عصر بعينه، فإن ذكرى أي واحدة منها يستدعي في الذهن بقية الصور التي تدخل في هذا النمط، وهذا ما يجعلها أشبه بالرمز "الصورة الرامزة"[٢٨].

- ✓ **جمال الصورة:** ليس نابعًا من المجاز، بل من كونها صورة فحسب؛ أي من تكوينها تشكيلها الفني، يقول: "ينبغي أن ننظر إلى جمال التشكيل بوصفه نابعًا منه في ذاته، لكونه تشكيلا فنيا... بينما ينبغي أن ينظر إليها بوصفها بناء فنيا متكاملا تقوم الاستعارات بدور جزئي في تشكيله، ولكنه لا يقتصر عليها وحدها."[٢٩]

الرمز:

أتـــم رســـالة مـــن قبـــل جـــاءت على أيدي الهداة المرسلينا[٣٠]

قد يكون أراد الشاعر بهذا البيت الرمز إلى الحديث الشريف: (ص): (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة.)[٣١]

وقوله:

وتلفتـــــت القبائـــــل وأشـــــرأبت لهـــذا الفخـــر أعنـــاق الرجـــال

فلمـــا قـــام يـــدعو فـــي البـــوادي رقيـــق الحـــال، محـــدود الثـــراء[٣٢]

رمز:

أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– جلس يدعو القبائل في حج كل عام لمدة ثلاث سنوات وكان يعرض نفسه على القبائل ولا يقبلونه إلى أن جاءت الأنصار من المدينة في السنة الثالثة وبايعوه. (نفس الكلام في الملحمة المحمدية).

رمز:

ورقيق الحال: حينما خرج إلى الطائف يدعو أهل الطائف وسيدهم عبد يا ليل بن كلال فسلط عليه الغلمان فأخذوا يضربونه ويقذفونه حتى أدموا قدمه فلم يفق إلا في قرن الثعالب فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين.

وقوله:

ومـــا تبـــع النبـــي ســـوى قليـــل من المتخشعين الأتقياء[٣٣]

رمز:

إسلام سيدنا أبي بكر وسيدنا علي بن أبي طالب وكان طفلًا في السابعة من عمره والسيدة خديجة، وهم من صلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة. وكذلك رمز إلى عمرو بن عنبسة –ربع الإسلام– :قال(أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بعكاظ قلت: يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر؟ قال: اتبعني رجلان حر وعبد أبو بكر وبلال. قال: فأسلمت عند ذلك. قال: فلقد رأيتني إذ ذاك ربع الإسلام.)[٣٤]

وقوله:

وحـــل "بمكـــة" الخطـــب المبيـــر وقـــد وافـــى مـــن الـــيمن المغيـــر
يســـوق الفيـــل معتـــديا جريئًـــا يريـــد البيـــت يمـــلأه الغـــرور
ليهدمـــه، ويصـــرف عنـــه ســـيلا مـــن الحجـــاج شـــأنهم خطيـــر[٣٥]

رمز:

إلى إبرهة الأشرم: وقد وفق الشاعر هنا في عدم التصريح باسمه والاكتفاء بالرمز إليه، لأنه أراد أن يتقرب من النجاشي اليمني فبني بيتًا في اليمن وسماه (القليص) مشابهًا للكعبة، فجاء رجل من العرب فبال عليه، فاستشاط غضبًا وأقسم ليهدمن الكعبة.

وقوله:

عـــــذاب لا يماثلـــــه عـــــذاب يضـــل الرشـــد منـــه والصـــواب
تحملـــه الصـــحاب بغيـــر شـــكوى ولا ألـــم، ألا نعـــم الصـــحاب
وقـــد نـــال النبـــي أذى كثيـــر فجـــل الخطـــب واشـــتد المصـــاب
يســـاء إليـــه يومـــا بعـــد يـــوم ويحشـــى فـــوق بردتـــه التـــراب
مشـــى يومًـــا أبـــو جهـــل إليـــه ومـــن شـــدقيه ينطلـــق الســـباب
فـــأعرض عنـــه مغفـــرة وحلمـــا فلـــيس علـــى البـــذاء لـــه جـــواب[٣٦]

هذه الأبيات رمز إلى:

أذى النبي صلى الله عليه وسلم، فعند طوافه عليه السلام حول الكعبة كانوا يسبونه. وعن عبد الله رضي الله عنه قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جذور فقذفه على ظهر النبي، فلم يرفع راسه، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم عليك الملأ من قريش أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، أو أبي بن خلف، شعبة الشاك، فرأيتهم قتلوا يوم بدر، فألقوا في بئر غير أمية بن خلف أو أبي تقطعت أوصاله فلم يلقى في البئر.[٣٧]

وتناص مع حديث:

"قال عروة بن الزبير: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم قال: بينا النبي يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله."[٣٨]

وقوله:

لتلـــك صـــحيفة كتبـــت بظلـــم تزيـــد المســـلمين بهـــا عـــذابا
غـــدوا مـــن بعـــدها فـــي الـــدار قومـــا هـــم الغربـــاء ذلا واجتنابـــا
فـــلا بيـــع هنـــاك ولا زواج لهاشـــم إنهـــم نطقـــوا الصـــوابا
لـــذلك غـــادروا الـــوطن المفـــدى إلـــى البيـــداء فالتمســـوا الشـــعابا[٣٩]

رمز إلى:

صحيفة المقاطعة وحصار الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في الشعب، لما اشتد الأمر على قريش عزمت على ألا يبيعوا أو يشتروا لبني عبد مناف والنبي صلى الله عليه وسلم ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم، وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها على الكعبة، فذهبت بنو عبد مناف إلى شعب بني عامر وجلسوا فيه حتى اشتد عليهم الجوع حتى أنهم كانوا يأكلون الجلد. "وظلت قريش تفكر في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه الذي يزدادون يوما بعد يوم وأبو طالب وبنو هاشم يحمون محمدا صلى الله عليه وسلم، وهو مستمر في إفساد أبنائهم ونسائهم عليهم كما يقولون، واستقر رأيهم على أن يبعدوا محمدًا صلى الله عليه وسلم عن مكة حتى يحولوا بينه وبين إقبال الناس على دينه، وأخذوا يتشاورون في ذلك وانتهى رأيهم إلى مقاطعته صلى الله عليه وسلم ومقاطعة من يحمونه من بني هاشم وبني المطلب، فلا يتزوج أحد منهم من قريش ولا يتزوج أحد من قريش منهم، وأن تعمل قريش على جوعهم فلا يبيع أحد منها شيئًا لهم ولا يشتري منهم شيئًا، وقالوا إنهم لا بد من حصارهم وحصار النبي معهم في مكان منعزل عن مكة، ورأوا أن يكون المكان شعب أبي طالب في الجبال خارج مكة، واتفقوا على أن يكتبوا بذلك صحيفة يسجل فيها هذا العقد ويعلق في جوف الكعبة، توكيدًا له وتوثيقًا."[٤٠]

وقوله:

وقد نقض الصحيفة مبرموها فنالوا عند ربهم ثوابا[٤١]

رمز إلى:

هشام بن عمرو وزهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود "وغدا زهير فطاف بالكعبة سبعا ثم نادى في الناس يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم وبنو المطلب هلكى لا يشترون ولا يبيعون شيئًا ؟، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة، فصاح به أبو جهل، وأيد زهيرًا أصحابه: هشام بن عمرو، والمطعم بن عدي، وأبو البختري، وزمعة، وقام المطعم فأحضر الصحيفة، وشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا فاتحتها باسمك اللهم."[٤٢]

وقوله:

وقالوا: "إنما يهديه جبر" وذلك أعجمي لا يمارى

وسار له الطفيل فنال فضلا وآمن قومه منه اختيارا[٤٣]

رمز إلى قوله تعالى: {ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين}[٤٤] والمقصود باللسان الأعجمي هنا جبر الذي رمز إليه الشاعر.

وإلى قصة الطفيل الذي ذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم وقال له: إن دوسًا لا تسلم فادع الله عليهم، جاء في الحديث "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن دوسًا قد هلكت، عصت وأبت، فأدع الله عليهم، فقال: "اللهم أهدِ دوسًا وأتِ بهم"[٤٥]

التناص:

في قوله:

فـــلا شـــرك هنـــاك ولا ضـــلال لحـــزب أولـــي الضـــلال المشـــركينا

ولا صـــنم تقـــام لـــه طقـــوس ويصـــــــبغه دم المتقربينـــــــا

مـــن الصـــخر الأصـــم أصـــم أعمـــى وأبكـــم عـــن حـــديث الغافلينـــا

ولا شـــــمس ولا قمـــــر منيـــــر ولا نجـــم كفعـــل الصـــابئينا[٤٦]

تناص مع حديث فتح مكة: عن ابن مسعود قال: (دخل النبي- صلى الله عليه وسلم- مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: {جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا} {قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد}.)[٤٧] وكان معه —صلى الله عليه وسلم-عرجون أو عصا فكان يهوي بها على رأس الصنم.

وتناص مع قوله تعالى: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد}[٤٨]

وقوله:

عبـــادات هـــي الكفـــر اســـتبدت بإيمـــان الجـــدود الأقـــدمينا[٤٩]

تناص مع قوله تعالى: {بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون}[٥٠] {وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ}[٥١] فالأمة المقصود بها في الآية هي الجدود الأقدمين.

وقوله:

ولمـــا جـــاءهم موســـى وعيســـى وأضـــحوا بـــالهوى متفرقينـــا

تـــــداركهم برحمتـــــه تعـــــالى بأحمـــد ينشـــر النـــور المبينـــا[٥٢]

تناص مع قوله تعالى: {ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات}[٥٣] أي سيدنا يوسف وتناص مع قوله تعالى: {وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم}[٥٤]{وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين}[٥٥]

وقوله:

تلقـــى الـــوحي مـــن أعلـــى الســـماء ولـــم يظهـــر مخاطبـــه لـــراء[٥٦]

تناص مع قوله تعالى: {وإنه لتنزيل رب العالمين}[٥٧]

وقوله:

وكانـــت قبلـــه كتـــب الأوالـــي تحـــدث عنـــه صـــادقة الـــولاء[٥٨]

تناص مع حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا)[٥٩]

وقوله:

وقـــال أولـــو الثقافـــة نحـــن أولـــى مـــن الأمـــي بالســـور الوضـــاء[٦٠]

تناص مع قوله تعالى: {وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم}[٦١]

وقوله:

فكيـــف جـــرت لصـــالحه المغـــازي بتوفيـــق الضـــعاف الأقويـــاء؟[٦٢]

تناص مع الحديث الشريف: (إنما تُنصرون وترزقون بضعفائكم)...حديث سفيان عندما أمسك جنود هرقل فقال له من ضمن أسئلته لأبي سفيان: فمن يتبعه؟ أضعفاء الناس أم شرفائهم؟ قال: بل يتبعه ضعفاؤهم. فقال هرقل: وكذلك هم أتباع الأنبياء.

وقوله:

وكيف قصائد الشعراء فيه؟ بلى، منهن للعشاق زاد!
مضى بالسبق "حسان" القوافي وإن السبق يدركه الجواد
صحابي من الأنصار حر يجوِّد في النبي ويستعاد
وأم الروضة الزهراء "كعب" ومل لهاته "بانت سعاد"
فأكرمه ببردته عطاء أبعد نوالها شرف يراد!
وفي آثاره نظم "البوصيري" فحل للبرء وانتظم الرقاد
و"سامي" حينما نظم المغازي فزال النفي عنه والبعاد
و"شوقي" لا تسل ما قال شوقي فما نسيت قصائده البلاد
وللشعراء نهج بعد نهج ونعم النهج لو أصغى العباد![٦٣]

رمز: مجموعة الأبيات السابقة رموز إلى أشهر شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وهو (حسان بن ثابت) شاعر الرسول بع الهجرة، الذي قال فيه:

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجًا مستنيرًا وهاديًا يلوح كما لاح الصقل المهند

ومن بعده "بانت سعاد" لكعب بن زهير الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم متخفيًا بعد أن أهدر دمه فكساه بردته، فكتب قصيدته هذه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وطلب الصفح عنه، وهي تتكون من تسع وخمسين بيتًا، ومطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

و"البردة" للبوصيري الذي اشتهر بمدائحه النبوية، وهي من أشهر المدائح النبوية بين العامة والخاصة، وقد ترجمت إلى لغات عدة قال:

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم

ومن أشهر أبيات البردة:

مـــولاي صـــلي وســـلم دائمًـــا أبـــدًا علـــى حبيبـــك خيـــر الخلـــق كلهـــم

وسامي البارودي الذي مدح الرسول بقصيدته:

محمـد خـاتم الرسـل الـذي خضـعت لـــه البريـــة مـــن عـــرب ومـــن عجـــم

ومن أشهر قصائده في مدح الرسول "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" التي نظمها في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتًا، وقد جارى فيها قصيدة البوصيري البردة قافية ووزنًا، قال:

يـــا رائـــد البـــرق يمـــم دارة العلـــم واحـد الغمـام إلـى حـي بـذي سـلم

وأحمد شوقي عارض القدامى في إبداع القصائد المدحية التي تتعلق بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته كما في همزيته الرائعة التي مطلعها:

ولـــد الهـــدى فالكائنـــات ضـــياء وفـــي فـــم الزمـــان تبســـم وثنـــاء

وكذلك معارضته لبردة البوصيري في قصيدته التي مطلعها:

ريـم علـى القـاع بـين البـان والعلـم أحـل سـفك دمـي فـي الأشـهر الحـرم

وقوله:

نبـــي الله اســـتبعت لنـــا نبيـــا وبـــالأبرار فـــي الـــدنيا حفيـــا[٦٤]

أي أنه –صلى الله عليه وسلم– يخاف على الناس جميعًا، قال الرسول: "إنما أنا لكم بمنزلة الوالد يعلمكم"[٦٥] وقال الرسول أيضًا: "ما تركت خيرًا إلا ودللتكم عليه" أو "إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه"[٦٦].

وقوله:

نقلـــت إليـــك بالأشـــواق خطـــوي أعـــالج ذلـــك الحـــب القويـــا
أقمـــت "بمكـــة الكبـــرى" زمانًـــا أراقـــب بكـــرة لـــك أو عشـــيا
تنـــازعني إليـــك الـــدهر نفســـي إن يـــك منزلـــي أمســـى قصـــيا
وكـــم نقـــل "البريـــد" إليـــك منـــي حطـــام الجســـم والـــروح الفتيـــا
فمـــن لـــي أن أعـــود إليـــك مـــن لـــي أخـــوض البحـــر، والقفـــر الـــدويا؟

إلى أن قال:

مـــن الـــوطن البعيـــد أهـــاج شـــوقي إليـــك هـــوى قـــديم واردكـــار

تبعتـــك ســـابقًا لـــو كنـــت ممـــن أظـــل زمـــان بعثـــك والجـــوار

"مـــدينتك المنـــورة" اتجـــاهي "وروضـــتك المشـــرفة" المـــزار

ولـــيس العـــيش دون لقـــاك عيشـــا ودون رضـــاك فالمحيـــا بـــوار

وفـــزرت بزورتـــي لـــك وهـــي حـــق ومـــا أرجـــوه فـــي ظـــل البقيـــع! (٦٧)

هذه الأبيات فيها ما فيها من الشوق لزيارة الرسول –صلى الله عليه وسلم– والشوق لرؤيته عليه السلام، فهل تعلم كم تكلف رؤية صفحة وجه النبي –صلى الله عليه وسلم– مرة واحدة؟ قال (ص): " من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله"(٦٨)

وقوله:

مقـــام بـــالجزيرة لا ينـــال تحـــيط بـــه السباســـب والجبـــال

مقـــام طـــاهر الجنبـــات ســـمح تغشـــاه المهابـــة والجـــلال

تلاقـــى الوالـــدان بـــه قـــديما وقـــد طـــال العنـــاء والانفصـــال

وحلـــت فيـــه مغفـــرة وعفـــو علـــى مـــر الزمـــان لهـــا اتصـــال

وكـــان النســـل فجـــن الـــدهر منـــه نســـاء فـــي البســـيطة ورجـــال(٦٩)

تناص مع قوله تعالى: {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق}(٧٠) ومع حديث سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما فرغ من بناء الكعبة، فأوحى إليه الله تعالى أن أدعو أو بلغ الناس، فقال: وأنى يصل صوتي يا رب، فقال: إنما عليك الدعاء وعلينا البلاغ.

وقوله:

يحـــج إليـــه عامًـــا بعـــد عـــام وفـــود لا يعوقهـــا انتقـــال

تخـــوض إليـــه بحـــرًا بعـــد بحـــر كـــلا البحـــرين مـــوج أو رمـــال(٧١)

تناص مع قوله تعالى: {وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق}(٧٢)

وقوله:

تشـــيد آيـــة لله كبـــرى "بمكـــة" مـــا لهـــا أبـــدًا زوال

تطـــوف بيتـــه وتمـــس ركنـــا يجـــاب بـــه مـــن الله الســـؤال

تـــرى الحجـــاج محتشـــدين فيـــه لكثـــرتهم دعـــاء وابتهـــال[٧٣]

تناص مع قوله تعالى: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين}[٧٤] ومع قوله تعالى: {وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود}[٧٥]

وقوله:

مكـــان عـــن حمـــى الـــدنيا قصـــي فـــلا شـــعب هنـــاك ولا نبـــي[٧٦]

تناص مع قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع}[٧٧]

وقوله:

إلـــى أن جـــاء "إبـــراهيم" يســـعى ترافقـــه الحليلـــة والصـــبي

تخيـــر موضـــعًا وســـط الحنايـــا ومـــا فـــي الأرض إلا الجرهمـــي

فشـــب هنـــاك "إســـماعيل" حـــرا فـــنعم الصـــدق والعـــزم الفتـــي

أبـــو العـــرب الكـــرام فكـــم قبيـــل لـــه نســـب هنالـــك يعربـــي

وعـــاد إليـــه والـــده، فشـــادا بنـــاء البيـــت، يعرفـــه التقـــي

يحـــيط بـــه، ويمســـك جانبيـــه مقـــام الطهـــر، والحجـــر البهـــي[٧٨]

المراجع:

(١) – عامر البحيري: أمير الأنبياء. القاهرة مطبعة العلوم. د.ت، ص٩

(٢) – أمير الأنبياء ص١٥

(٣) – أمير الأنبياء ص١٨

(٤) – أمير الأنبياء ص١٨–١٩

(٥) –أمير الأنبياء ص ٢١

(٦) –أمير الأنبياء ص ٩

(٧) –أمير الأنبياء ص١٠

(٨) – أمير الأنبياء ص١٠

(٩) –أمير الأنبياء ص١٢

(١٠) – أمير الأنبياء ص١٥

(١١) – أمير الأنبياء ص١٢

(١٢) – أمير الأنبياء ص٢١

(١٣) – كامل أمين: الملحمة المحمدية. القاهرة مطبعة الشبكشي بالأزهر ١٩٧٩م، ص ٥

(١٤) – الملحمة المحمدية ص١٠

(١٥) – الملحمة المحمدية ص١٨

(١٦) – الملحمة المحمدية ص٢٤

(١٧) – الملحمة المحمدية ص٧٢

(١٨) – الملحمة المحمدية ص ٥

(١٩) – الملحمة المحمدية ص ٩

(٢٠) – الملحمة المحمدية ص٧٧

(٢١) – الملحمة المحمدية ص٧٧

(٢٢) علي البطل، الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري: دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٤.

(٢٣) علي البطل، الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري: دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٤.

(٢٤) علي البطل، الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري: دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٥.

(٢٥) علي البطل، الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري: دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٧–٢٨.

(٢٦) علي البطل، الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري: دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلسن بيروت، ١٩٨١م، ص٢٨.

(٢٧) علي البطل، الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري: دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلسن بيروت، ١٩٨١م، ص٣٠.

(٢٨) علي البطل، الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري: دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلسن بيروت، ١٩٨١م، ص٢٩.

(٢٩) علي البطل، الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري: دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلسن بيروت، ١٩٨١م، ص٣٠-٣١.

(٣٠) أمير الأنبياء، ص٩.

(٣١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، اعتنى به/ محمد بن سامح بن عمر، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ٥٩٩/١، الحديث رقم (٣٣٥). و ٧٣٨/١ الحديث رقم (٤٣٨).

(٣٢) أمير الأنبياء، ص١٠.

(٣٣) أمير الأنبياء، ص١٠.

(٣٤) الطبري، تاريخ الطبري، ٣١٥/٢.

(٣٥) أمير الأنبياء، ص١٥.

(٣٦) أمير الأنبياء، ص٣٤.

(٣٧) فتح الباري، ٧/ ٢١٩، الحديث رقم (٣٨٥٤).

(٣٨) فتح الباري، ٧/ ٢١٩-٢٢٠، الحديث رقم (٣٨٥٦).

(٣٩) أمير الأنبياء، ص٣٥-٣٦.

(٤٠) شوقي ضيف، محمد خاتم المرسلين، ص١١٢-١١٣.

(٤١) أمير الأنبياء، ص٣٦.

(٤٢) شوقي ضيف، محمد خاتم المرسلين، ص١١٤.

(٤٣) أمير الأنبياء، ص٣٦.

(٤٤) سورة النحل، الآية (١٠٣).

(٤٥) فتح الباري، ٧/ ٨٠٧، الحديث رقم (٤٣٩٢).

(٤٦) أمير الأنبياء، ص٩.

(٤٧) شرح الباري، ٣١١/٨، الحديث رقم (٤٧٢٠).

(٤٨) سورة الحج، الآية (١٧).

(٤٩) أمير الأنبياء، ص١٠.

(٥٠) سورة الزخرف، الآية (٢٢).

(٥١) سورة الزخرف، الآية (٢٣).

[٥٢] أمير الأنبياء، ص١٠.
[٥٣] سورة غافر، الآية (٣٤).
[٥٤] سورة الصف، الآية (٥).
[٥٥] سورة الصف، الآية (٦).
[٥٦] أمير الأنبياء، ص١٠.
[٥٧] سورة الشعراء، الآية (١٩٢).
[٥٨] أمير الأنبياء، ص١٠.
[٥٩] شرح الباري، ٨/ ٥٤٦، الحديث رقم (٤٨٣٨).
[٦٠] أمير الأنبياء، ص١٠.
[٦١] سورة الزخرف، الآية (٣١).
[٦٢] أمير الأنبياء، ص١٠.
[٦٣] أمير الأنبياء، ص١٠-١١..
[٦٤] أمير الأنبياء، ص١١.
[٦٥] البدر المنير، ٢/٢٩٦.
[٦٦] الألباني، السلسلة الصحيحة، ٢٨٦٦..
[٦٧] أمير الأنبياء، ص١١-١٢.
[٦٨] صحيح مسلم، ٢٨٣٢.
[٦٩] أمير الأنبياء، ص١٤.
[٧٠] [٧٠] سورة الحج، الآية (٢٧).
[٧١] أمير الأنبياء، ص١٤.
[٧٢] [٧٢] سورة الحج، الآية (٢٧).
[٧٣] أمير الأنبياء، ص١٤.
[٧٤] سورة آل عمران، الآية (٩٦).
[٧٥] سورة الحج، الآية (٢٦).
[٧٦] أمير الأنبياء، ص١٤.
[٧٧] سورة إبراهيم، الآية (٣٧).
[٧٨] أمير الأنبياء، ص١٤-١٥.